@ 415 @ ^ (فيصيب بها من يشاء) ^ من عباده ، بحسب ما شاءه وأراده ^ (وهم يجادلون في ا وهو شديد المحال) ^ أي : شديد الحول والقوة ، فلا يريد شيئا إلا فعله ، ولا يتعاصى عليه شيء ، ولا يفوته هارب . ^ (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى المآء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعآء الكافرين إلا في ضلال) ^ فإذا كان هو وحده ، الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب ، التي فيها مادة أرزاقهم ، وهو الذي يدبر الأمور ، وتخضع له المخلوقات العظام ، التي يخاف منها ، وتزعج العباد ، وهو شديد القوة فهو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا شريك له ، ولهذا قال : ^ (له دعوة الحق) ^ إلى ^ (إلا في ضلال) ^ . ! 2 2 ! أي : وحده ^ (دعوة الحق) ^ وهي : عبادته وحده لا شريك له وإخلاص دعاء العبادة ، ودعاء المسألة له تعالى . أي : هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء ، والخوف والرجاء ، والحب ، والرغبة ، والرهبة ، والإنابة ، لأن ألوهيته ، هي الحق ، وألوهية غيره باطلة ، ^ (والذين يدعون من دونه) ^ من الأوثان ، والأنداد ، التي جعلوها شركاء . ^ (لا يستجيبون لهم) ^ أي : لمن يدعوها ويعبدها ، بشيء قليل ولا كثير ، لا من أمور الدنيا ، ولا من أمور الآخرة ، ^ (إلا كباسط كفيه إلى الماء) ^ الذي لا تناله كفاه لبعده ، ^ (ليبلغ) ^ ببسط كفيه إلى الماء ! 2 2 ! ، فإنه عطشان ، ومن شدة عطشه ، يتناول بيده ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه ، فلا يصل إليه . كذلك الكفار ، الذين يدعون مع ا آلهة ، لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة ، لأنهم فقراء ، كما أن من دعوهم فقراء ، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ^ (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) ^ لبطلان ما يدعون من دون ا ، فبطلت عبادتهم ودعاؤهم ، لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها ، ولما كان ا تعالى ، هو الملك الحق المبين ، كانت عبادته حقا ، متصلة النفع بصاحبها في الدنيا والآخرة . وتشبيه دعاء الكافرين لغير ا ، بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة ؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال ، فكما أن هذا محال ، فالمشبه به محال ، والتعليق على المحال ، من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى : ^ (إن الذين كفروا وكذبوا بآياتنا لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ^ . ^ (و يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) ^ أي جميع ما احتوت عليه السموات والأرض كلها ، خاضعة لربها ، تسجد له ! 2 2 ! . فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع ، اختيارا ، كالمؤمنين ، والكره ، لمن يستكبر عن عبادة ربه ،

وحاله وفطرته ، تكذبه في ذلك . ^ (وظلالهم بالغدو والآصال) ^ أي : وتسجد له ظلال المخلوقات ، أول النهار وآخره ، وسجود كل شيء ، بحسب حاله كما قال تعالى : ^ (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ^ . فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها ، كان هو الإله حقا ، المعبود المحمود حقا ، وإلاهية غيره باطلة ، ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله : ^ (قل من رب السموات) ^ إلى ! 2 2 ! . ^ (قل من رب السماوات والأرض قل ا قل أفاتخذتم من دونه أوليآء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا شركآء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل ا خالق كل شيء وهو الواحد القهار) ^ أي : قل لهؤلاء المشركين به ، أوثانا وأندادا ، يحبونها كما يحبون ا ، ويبذلون لها أنواع التقربات والعبادات : أفتاهت عقولكم ، حتى اتخذتم من دونه أولياء ، تتولونهم بالعبادة ، وليسوا بأهل لذلك ؟ فإنهم ^ (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) ^ ، وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات ، المالك للأحياء والأموات ، الذي بيده الخلق والتدبير ، والنفع والضر ؟ فما تستوي عبادة ا وحده ، وعبادة المشركين به ، ^ (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) ^ ؟ فإن كان عندهم شك واشتباه ، وجعلوا له شركاء ، زعموا أنهم خلقوا كخلقه ، وفعلوا كفعله ، فأزل عنهم هذا الاشتباه واللبس ، بالبرهان الدال على تفرد الإله بالوحدانية ، فقل لهم : ^ (ا خالق كل شيء) ^ فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه . ومن المحال أيضا ، أن يوجد من دون خالق ، فتعين أن لها إلها خالقا ، لا شريك له في خلقه ، لأنه الواحد القهار ، فإنه لا توجد الوحدة والقهر ، إلا وحده ، فالمخلوقات وكل مخلوق ، فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر ، قاهر أعلى منه ، حتى ينتهي القهر للواحد القهار . فالقهر والتوحيد ، متلازمان ، متعينان وحده ، فتبين بالدليل العقلي القاهر ، أن ما يدعى من دون ا ، ليس له شيء من خلق المخلوقات ، وبذلك كانت عبادته باطلة .